

إشكالية الانحطاط وأهمية العقل السنني في النهوض بالأمة



الأستاذ : يونس ملال (*)

إن معظم الدراسات الحضارية في العالم الإسلامي نابعة من هم واحد هو إشكالية الانحطاط . فالإنسان المسلم وهو يبحث في تعريف الحضارة وعوامل قيامها ونكوصها ، يحمل معه باستمرار أسئلة جوهرية عن واقعه المنحط وحال أمته المتدهورة ، وهو يحاول إيجاد الإجابات الشافية لها ، ويتعبير آخر فإن البحث الحضاري السنني هو بحث في الحقيقة وفي ذات الوقت بحث في الوظيفة الاجتماعية للحقيقة .

من هنا ينبغي لكل متصدر للبحث في العالم الإسلامي ضمن الإطار الحضاري أن لا تغيب عنه هذه الخلفية التي تشكل الميزان الذي يضبط علاقة الدراسة بجذواها ، وبغيابه أو غموضه تنتج ساحتنا الثقافية : إما دراسات إجرائية ناقصة وإما دراسات نظرية مترفة .

فخلفية البحث الحضاري في الفكر الإسلامي وإن كانت خلفية معرفية ، ترى أن العلم عملية إصلاحية شاملة وليس مجرد معلومات .

(*) أستاذ مساعد مكلف بالدروس في العقيدة والفكر الإسلامي - جامعة أدرار - الجزائر .

١- خلفية البحث الحضاري السنني وإشكالية الانحطاط :

إن إشكالية الانحطاط في العالم الإسلامي إشكالية معقدة ومركبة ، فلو كانت طبيعة القيم الإسلامية تفضي منطقياً إلى ما وصلت إليه الأمة الإسلامية من الضعف والهوان لكان الأمر - على فداحته - مبرراً ومفهوماً ، ولكن الإجماع قائم من قبل كل دارس منصف للإسلام من الموالفين أو المخالفين في العقيدة على أن الإسلام بريء مما أصاب المسلمين ، باستثناء بعض الدراسات الاستشراقية المغرضة ، وهي سياسية أكثر منها علمية ، فكيف يكون الإسلام في قمة الرقي والمسلمون في حضيبض التخلف؟

وكانت الإجابة الواقعية ، التي بدت مقنعة وتامة في وقت ما ، أن سبب تخلف المسلمين هو ابتعادهم عن الإسلام . وكان التوجه المنطقي بزعامة المصلحين هو الدعوة المتكررة للعودة إلى الدين ، وضرورة الالتزام بأحكامه، ووجوب الاحتكام إليه في كل شيء .

ولكن بعد مضي ما يزيد عن قرنين من الزمن على صيحات جمال الدين الحسيني الأفغاني العالية ، وجدنا أنفسنا بمثابة من ينادي المريض ليشفى ، ويهيب بالمجنون أن يعقل ، ولا شك أن المريض متحرق للشفاء ، وأن المجنون لا أمنية له سوى عودة قوته العقلية إليه . فلا يوجد في شعوب العالم من هو أكثر من المسلمين أسى على ما ضيعوه من مآثر الحضارة ، وحرقة على الرجوع إلى الدين الذي كان سبباً في بنائها . ونحن بصرخات وجوب العودة إلى الدين لا نزيده إلا حسرة وألماً .

إن السؤال الجوهرى فى إشكالية الانحطاط هو : ما علل هذا التقاعس ؟ وبماذا يزول ؟ لماذا تمسكنا بالإسلام فى العقود الأولى ، ثم تركناه بعد قرون ؟ كيف حدث ذلك فى التاريخ ؟ وما السبيل أو ما الكيفية التى تعد بمثابة برنامج العمل الذى به نعود تدريجيا إلى الإسلام .

فى هذه المعادلة ، فإن الأمة الإسلامية هى المريض ، والإسلام هو المخزن الذى يحوى الدواء لكل داء ، أى : هو الصيدلية ، لكن هل الدوران فى حلقة المريض والدواء كافية لتحقيق العلاج ؟ .. بالطبع لا ، فالعلاج يتطلب أكثر من هذين العنصرين الضرورىين وغير الكافيين .. إن العلاج يتطلب تشخيص المرض ، وهذا ما لا يقدر على القيام به سوى طبيب ماهر مختص ، الذى يقرر نوع المرض ونوعية العلاج ومراحله ومقاديره ..

هذه الرؤية تنتقل بنا إلى مستوى ثان من البحث ، مستوى الكيفية فضلا عن الوجود ، وفهم مرض الأمة الإسلامية ، ثم تشخيص الدواء المناسب وتسطير الخطة اللازمة لتناوله ، فإذا كان فيه من الفائدة ما هو ظاهر ، وبدأ جسم الأمة يتحسن زاد ذلك من صبرها على تناول الدواء رغم مرارته ؛ لأنه لا يغري بالنجاح أكثر من النجاح نفسه ، ويكون الدواء أكثر مناسبة بقدر ما يكون المرض مشخصا بدقة أكبر^١ .

^١ أنظر : محمد الفاضل بن عاشور ، روح الحضارة الإسلامية ، ص ٤٠ وما بعدها .

إن هذا هو ما يبرر الاهتمام البالغ بالبحث السنني في الوسط الإسلامي ، فهو ليس سوى عرض للقواعد العملية التي تؤسس لإحداث عملية الولادة الاجتماعية ، وينتج عنها التغيير الاجتماعي .

هذه هي خلفية البحث الحضاري في الدراسات الإسلامية ، ولذلك عندما يحدد الباحث المسلم في ميدان الحضارة والاجتماع مفهوما معينا للحضارة لا يقتصر على المعنى الوصفي أو المعنى التحليلي - كما في معظم الدراسات الغربية - بل يركز على المعنى الوظيفي والبنائي للحضارة الذي يوضح عناصرها ويسهل البحث في كيفية الوصول إلى الحياة الراقية التي تسمى "الحضارة" .

هكذا اشتهر المفكر الجزائري مالك بن نبي بتفكيكه وتركيبه للظاهرة الحضارية ، بما جعل منها ظاهرة قابلة لإعادة البناء ، بعد أن حدد عناصرها الأساسية في الإنسان والزمن والتراب والتفاعل بينها بفضل المبدأ أو الفكرة الدينية ، فالفكرة الدينية إذا دخلت مجتمعا إنسانيا فإنها تعيد تشكيله بإعادة تشكيل ثقافته وتكيف شبكة علاقاته الاجتماعية وفقا لمبادئها ، وبالفاعلية التي تشحن بها الفكرة الدينية المجتمع يتحرك الإنسان ليستغل الزمن الذي أنعم الله به عليه ، لعمارة الأرض ..

في هذه الدراسة سوف أعمد إلى تحليل الفكرة التي تبعث الحضارة ، فما هذه الفكرة ؟ وما أهميتها ودورها بالنسبة للفعل التاريخي الحضاري ؟ وبعبارة

واحدة : كيف تكون الفكرة عنصرا من عناصر النهوض الحضاري ؟ أو سنة تحكم الحضارات من داخلها ؟

٢- طبيعة الأفكار الباعثة للحضارة وعلاقتها بالفعل الاجتماعي :

إن الإنسان - بحكم كونه مدنيا بطبعه ، وكائنا ناقصا ينشد الكمال - لا يستجيب سوى للأفكار التي تتجاوز ذاته ، فإن لم توجد هذه الأفكار التي تكون الأديان والإيديولوجيات ، أو كانت منفصلة عن فعلها الاجتماعي ، استسلم هذا الكائن لغرائزه الذاتية ، وصار يتخبط في نوع من الحياة البدائية المتفككة .

وطبيعة الأفكار الباعثة على تحرك الإنسان في التاريخ تتعلق بكونها : شاملة ، غائية ، ومقدسة . ومعنى كونها غائية أي أنها قادرة على رسم المثل الأعلى الذي يحرك الإنسان الفرد كذا الأمة نحو الأمام ، أي نحو مزيد من التقدم باستمرار ، وكلما كانت الغاية حيوية مطابقة لروح الوجود والطبيعة الإنسانية العامة وقابلة للتجدد ، كانت أصلح للدفع الحضاري ، وهذه الفكرة لا يمكن وصفها إلا بكونها فكرة دينية ، فالدين هو المسنول عن حركة الإنسان في التاريخ .

ومن خلال غائية الفكرة الدافعة يمكن فهم تركيز القرآن على إعطاء أمثلة عليا للأمة الإسلامية كما قال سبحانه وتعالى : (لقد كان لكم في رسول الله

أسوة حسنة^٢ ، وكما قال عز وجل : (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه)^٣ .

فلكي يتحرك الإنسان وتتقدم الأمم عليهما أن لا يفقد الحس بالمثل الأعلى الذي يتقدمان نحوه .. إن المثل الأعلى يمثل الصورة المستقبلية التي تسعى أمة ما إلى تجسيدها في نفسها ..

أما معنى الشمولية في الفكرة الباعثة للحضارة فهو أن تكون الفكرة مستوعبة لكافة جوانب الطبيعة الإنسانية وملبية لمختلف حاجاتها ، وبذلك تعد شمولية الفكرة عاملا لا يمكن الاستغناء عنه في الدفع بحركة التاريخ إلى الأمام، ويعبر عن هذا المعنى أحيانا بـ : نظرية المعرفة أو النسق الفكري والنسيج المعرفي المميز لحضارة ما ..

إن الخلل في شمولية الفكرة ليقع الأمم في التلقيق الذي يخترق النسق الفكري ويبعث على بعض الأمراض الحضارية كالعشبية أو التبعية ، إذ الأمة التي تعجز عن حل مشكلاتها التي تعترض خطوها نحو تحقيق أهدافها من داخل مبادئها أمة مهددة بالذوبان أو الانحدار .

والفكرة لا تتحول في جسم أية أمة إلى دافع حقيقي على الحركة ما لم تتحول إلى إيمان عميق بصحتها وجدواها وفاعليتها ، وما لم تلتحم بالنفس والمجتمع التكاملا يجعل الحركة الاجتماعية بها ولها ومن أجلها .. ولا يمكن

^٢ الأحزاب ، ٢١ .

^٣ الممتحنة ، ٤ .

لفكرة أن تتحول إلى هذا الشكل من الطاقة الدافعة الخلاقة ما لم تكن عقيدة ذات مصدر علوي أو مثالي متعالٍ على البشر ، وهذا ما عنيناه بقُدسية الفكرة التي تبعث على البناء الحضاري ..

هذه الأوصاف الثلاثة : الغائية ، الشمول ، والقُدسية هي أوصاف الفكرة الدينية ، وهذا متساق مع ما قرره فلاسفة التاريخ عندما ذكروا أن الفكرة الدينية هي مصدر الحضارة الإنسانية ، يقول أ. توينبي : " إذا ما ألقينا ببصرنا على الحضارات التي برحت قائمة حتى يومنا الحاضر ، نجد أنه يكمن وراء كل منها نوع من العقيدة الدينية العالمية .. وعلى هذا النحو تصبح العقيدة الدينية جزءاً من نظام الاستلاب الحضاري " .

لكن مفهوم الفكرة الدينية يختلف من مفكر إلى آخر ، وإن يك ملاحظاً أن كل فكرة تصفها أمة ما من الأمم بالقداسة تعد ديناً لها ، ويكون لها غالباً تأثيرها على هذه الأمم ، لكن هذا التأثير - الحاصل فعلاً - لا يكون بالضرورة إيجابياً ، وهذا ما يبرر تساؤلنا عن ماهية الفكرة الدينية التي ترتقي بالفعل التاريخي الإنساني وخصائصها .

إن الفكرة الدينية لا شك مصدر للسلوك الفردي والاجتماعي ؛ لأن الفكر عموماً يوجه السلوك ، فالإنسان لا يضع يده على النار لاعتقاده بأنها محرقة ، ولا يلقي بنفسه من على جبل ، لأن فكرته عن ذلك أنه سيلقى حتفه لا محالة ، والإنسان يضحي بنفسه أحياناً في سبيل أمته ، لأنه يعتقد صغر حجمه أمام

⁴ مختصر دراسة التاريخ ، أرنولد توينبي ، ج ٣ ، ص ٢٩ .

الواجب الأخلاقي الكبير، أو لأنه يطمع في ثواب الآخرة أو حسن ذكر عند الناس .. وهكذا فإن جل حياة الإنسان انعكاس لأفكاره ، يقول إنلو : " راقب أفكارك فإنها تتحول إلى كلمات ، وراقب كلماتك فإنها تصبح أفعالا ، راقب أفعالك فإنها تتحول إلى عادات ، راقب عاداتك فإنها تصبح طباعا ، راقب طباعك فإنها ظلال مصيرك " ⁵ .

إذا كان للفكرة الدينية هذه الأهمية في بعث الحضارة ، فما الشروط التي تجعل من الفكرة الدينية مؤدية لدور إيجابي على الساحة الاجتماعية ؟

في تقديري ، فإن هناك شرطين يضمنان السير المتصاعد للأمم، هذان الشرطان متعلقان بالفكرة هما : صحة الأفكار ، وفاعليتها . فما دور الأفكار الصحيحة ، وحدود هذا الدور في رسم إطار الحياة الحضارية لأمة ما ؟ وما دور الأفكار الفعالة في البعث الحضاري ؟ وما دور التكامل بين صحة الفكرة وفاعليتها في ضمان المحافظة على استمرارية الرقي الحضاري ؟

أولا : الأفكار الصحيحة ودورها في البناء الحضاري

لا بد للحياة الحضارية الإنسانية من منظومة للأفكار ونظرية للمعرفة ، ولكن بعض المعتقدات الدينية أو الأيديولوجية قد تعيق حركة التقدم في مسيرة الأمم ، أو أنها يمكن أن تؤمن الانطلاق دون أن تؤمن الاستمرار ، وكل ذلك يتوقف على مدى تطابق المعرفة الإنسانية مع حقيقة الوجود الكلي .

⁵ القيادة والتغيير ، إنلو ، ص ٢٨-٢٩ .

فبعض المعتقدات الدينية الشرقية، ومعها بعض الفلسفات الغنوصية الموغلة في الروحانية - لا تعترف بالوجود المادي إلا بوصفها ظلاً أو حقيقة ثانوية بله أن تدفع إلى عمارة الكون والتصرف فيه بإيجابية وحكمة .

وبعض الرؤى والفلسفات والمعتقدات الدينية تحنقر الإنسان أمام الموجودات المادية وتخضعه لها ، ولا تؤمن بالأصل الواحد للبشر ، فهذا عندها حقير وذاك مقدس ..

وبعض الأديان - كما في النصرانية - تؤمن الدفعة الروحية للانطلاق الحضاري ، كما فعلت الأخلاق المسيحية مع الحضارة الغربية ، لكنها لا تؤمن الاستمرار ، فهي عاجزة عن كبح موجة العلمانية والإلحاد ؛ لأنها لا تفسر الوجود المادي والعلاقات السببية في الكون على حقيقتها .

وبعض الأديان - كما في اليهودية - تحمل روح العنصرية وتنذر بالخراب لا العمران كلما استفحل أمرها ، وتبشر الإنسانية التعاسة لا بالسعادة . من هنا تظهر أهمية أن تكون الأفكار الدينية المتصدرة لحضارة ما صحيحة متطابقة مع فطرة الناس وفطرة الكون ، فإن ذلك ضروري لتجاوز الأزمان ذات الطابعين : المادي والروحي .

إن صحة الأفكار وتطابقها مع متطلبات الحياة الإنسانية أمر ضروري ؛ إذ الوهم الفكري قد يدفع الأمم إلى الأمام بعض الشيء ، لكنه لا يرفعها إلى القمة

إلا ليلقي بها إلى الهاوية، كما فعلت الفكرة الشيوعية بالاتحاد السوفييتي بعد توضيحات جسام .

لكن صحة الأفكار خطوة ضرورية وغير كافية ، ألا ترى الأمة الإسلامية وهي تمتلك المبادئ الصحيحة المعصومة والوحي النقي ، والدين الخاتم - قد باتت عقيمًا لا تلد إبداعا ولا تبني حضارة ؟ هذا ما يقودنا إلى مسألة أخرى تتعلق بالأفكار هي : الفاعلية⁶ .

ثانيا : الأفكار الفعالة ودورها في البناء الحضاري

ليست الحقيقة هبة سهلة مهداة إلى الإنسانية ، بل الإنسانية مضطرة للكبح من أجل تحصيل الحقيقة والوصول إليها ، وصحة الأفكار مهما قيل عنها صحة نسبية ، لاسيما إذا نظرنا إليها بالإضافة إلى الواقع التاريخي المتحرك ، أو الفهم البشري الناقص .

ذلك أن هناك جدلية بين الواقع والفكرة في المفهوم الحضاري الشامل ، هذه الجدلية هي التي يجري بها تنزيل الأفكار من المطلق إلى الزمني ، ومن المثال إلى الواقع ، فليست كل فكرة صحيحة مطلوبة ، ولا كل فكرة فاعلة صحيحة .

⁶ للأستاذ المفكر الكبير مالك بن نبي نظرات دقيقة وصائبة في تحديد دور الفاعلية في نهوض الأمة الإسلامية؛ لذا يحسن النظر في كتابيه : شروط النهضة ومشكلة الأفكار في العالم الإسلامي .

والحياة للحضارية الراقية ينبغي - في حدود الإمكان - أن تبني على أفكار صحيحة من ناحية ، وفعالة من ناحية أخرى ، والسؤال هو : من يضمن صحة الأفكار ؟ وما شروط فعاليتها ؟

إن أمتنا الإسلامية وهي نتكلم وفق القرآن الكريم ، أي نقول كلاما صحيحا - يصيبها أحيانا نوع من الغرور بهذا القول ، فتظن أنه كاف بالفعل لمقاومة الذوبان والانصهار في الأمم الغالبة .

يزيد دور الأمة أحيانا على حدود ردود الفعل ومدح الذات ، وهي أمور قد تدافع عن الهوية لكنها لا تبني الذات ، ولا تسمح للأمة بالتقدم خطوة واحدة نحو الأمام ، إن التأكيد وإعادة التأكيد على المبادئ وحده ، وإن كان خطوة ضرورية - فإنها غير كافية ، وبعبارة أدق : إن الدين هو المنهل والأساس ، لكن الحضارة تتوقف على شيء زائد على مجرد التحدث بالدين، إنه البعد الاجتماعي للدين وهو : التدين .

وإذا كانت مسألة الدين تخضع لمعايير الحقيقة ، فإن مسألة التدين تخضع لمعايير الفاعلية . وإذا كان الإسلام - الدين - محفوظا بحفظ الله له : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)^٧، فإن الإسلام - التدين - قد يكون سليما وفاعلا، وقد يكون مرضيا وخياليا ومغشوشا ، وحيث يفقد الدين فعله الاجتماعي حينئذ لن يسهم الدين في تقدم المتدينين .

^٧ الحجر ، ٩ .

إن الحياة الحضارية الراقية ينبغي أن تراعى فيها الحقائق المنطقية وعناصر التأثير معا ، ولكي يكون الدين مؤثرا أي قائدا في الحياة يجب أن يضم الفاعلية إلى الصحة .

ومن أهم شروط الفاعلية " الاجتهاد " في تشخيص المشكلات المرحلية في التاريخ ، و " الاجتهاد " في إيجاد الحلول المناسبة لها ، أي أن المرحلية، والواقعية ، والمقصدية ، والألوية - كلها مسائل جوهرية بالغلة الأهمية في عملية الاجتهاد الفعال لإعادة بعث الحياة الحضارية الإسلامية ، ليس فقط لأنها متناسبة مع طبيعة الأشياء ، بل كذلك لأن هذه الشروط قد استجمعتها حياة المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي عدّه القرآن الكريم المثل الأعلى للأمة الإسلامية ، ومن يطالع السيرة النبوية لا تخطئ عينه هذه الشروط ، ويدرك أنها شروط البعث الأول ، وينبغي هنا لفت النظر إلى أن شروط انبعاث المجتمعات ، هي نفس شروط إعادة ميلادها ، كما قال الإمام مالك : " لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها " .

ومن أجل الإحاطة بدراسة الفكرة أو المبدأ بوصف أي منهما باعثا للحضارة لابد من تسليط الضوء على الفكرة الدينية من جهة صحتها ، وكذا من جهة فعاليتها ؛ لأن التكامل بين هذين العنصرين هو ثمرة الاجتهاد البشري على الأرض علما وعملا ، فليس الاستخلاف في الأرض سوى تنزيل الدين على واقع الحياة ، أو تفعيل المبادئ الصحيحة ، ولأجل بلوغ هذا الهدف أحاول فيما يأتي دراسة الدين بوصفه نموذجا لسنة كونية وشرعية تحكم

الحضارات من داخلها، لتتبين لنا بعد ذلك الكيفية التدريجية من أجل الفاعلية للدين ، وهي المهمة الأساسية للإنسان الخليفة .

ثالثا : الدين بوصفه سنة كونية وحضارية عامة

الإنسان مدني بطبعه ، والإنسان حيوان ناطق .. هذا ما اشتهر في كتب فلاسفة الإغريق وعلى ألسنتهم ، لكن علماء الأنثروبولوجيا قرروا بعد طول بحث حقيقة أعمق وأصح ، وهي أن الإنسان كائن متدين بطبعه .

" إن تاريخ الإنسان يشهد بأنه لم يخل مجتمع إنساني قط من الإيمان بآله يتخذه معبودا .. وقد شاعت هذه الحقيقة بين الدارسين والمفكرين حتى أوشكت أن تصبح مسلمة بين كل الناظرين في تاريخ الإنسان ، يقول هنري برغسون : لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون ، لكن لم توجد قط جماعة بغير ديانة"^٨ .

الدين إذن حقيقة موضوعية لا فكاك للإنسان منها ، إنه فطرة تجد أصولها في عمق النفس البشرية ، وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك فقال سبحانه : (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا)^٩ . لذا يمكن أن نعد الإلحاد المحض ، خرافة محض ، أو نوعا من المرض النفسي ، لكنه أبدا ليس فكرة على الإطلاق .

^٨ الإيمان وأثره في الحياة ، عبد المجيد النجار ، ص ٣٦ .

^٩ الأعراف ، ١٧٢ .

يمكن أن تنتشوه فطرة الإنسان بحكم عوامل كثيرة ، وأن يتخذ الناس آلهة أخرى مع الله أو حتى من دون الله ، وما أكثر ما حدث ذلك ، وهو تعبير خاطئ عن أصل الفطرة المركوزة في النفس ، أما أن تقوم فكرة في الوجود على الإلحاد فهذا ما لا يمت إلى الحقيقة الموضوعية بصلة ، ولا يمكن أن يقوم عليه دليل .

و " حينما تقوم فلسفة أو نظام اجتماعي على دعوى النكران للدين وعلى رأس ذلك نكران الوجود الإلهي ، فإنه عند التأمل يتبين أن ذلك النكران ليس إلا نكرانا ظاهريا للدين ، وأنه في الواقع ينشأ عند المنكرين ضرب من التدين يعوض في نفوسهم التدين الحقيقي ، وهو تدين يتمثل في النزوع إلى تقديس موجود معنوي أو مادي ، يحل في النفوس محلا يشبه المحل الذي يكون لله في نفوس المؤمنين ، فإذا هو في حقيقته ضرب منحرف من التعبير عن المكنون النفسي لفطرة الإيمان " ^{١٠} .

إن الإنسان مفطور على التدين ، هذه حقيقة كونية وسنة إلهية ، لا تقبل التحدي والمعادلة ، لكن الذي يقبل التحدي على مدى يطول أو يقصر هو طبيعة التدين ، أي الالتزام بالدين الصحيح أو الانحراف عنه ، فالإنسان لا يمكنه أن يخلع عن نفسه شعوره بالحاجة إلى الدين ، لكن يمكنه أن لا يعبد الله تعالى ، بل يمكنه أن يعبد غيره أو أن يشرك به غيره .

^{١٠} المرجع السابق ، ص ٣٧ .

والإنسان غير مؤهل في فطرة تكوينه أن يتدين تدينا صحيحا من غير حاجة إلى دعوة الأنبياء ؛ لأن فطرته غير مصونة ذاتيا عن التشوه ، وربما طمرت بعد طول أمد وكثرة فساد وقسوة قلب ؛ من أجل ذلك أنزل الله الكتب وأرسل الرسل مبشرين ومنذرين ، يحافظون على نقاء الفكر وصفاء الروح ، ويرسخون المعاني الأساسية التي تمكن الإنسان من الفوز بسعادة الدارين في النفوس ، فتزداد طمأنينة وسعادة فوق الأرض ويوم العرض على الله تعالى .

لقد حارب القرآن مشركي قريش من عبدة الأوثان ، وكذا عبدة الدرهم والدينار ، وعبدة الجاه والسلطان ، وعبدة الأهواء ، وعبدة الطبيعة من الدهريين ، والمنحرفين عن مبدأ التوحيد الخالص من اليهود والنصارى ..

وفي المفهوم القرآني الحضاري ، فإن كل هذه العقائد تحمل فكرة دينية " غير صحيحة " في وجه من وجوها ، أو في كل وجوها عن الوجود وما بعد الوجود .. ومن ثم فهي غير صالحة لوراثة الأرض ، أو قيادة للبشر ، أو إسعاد الخلق ، إنها عقائد ومبادئ وأفكار كلية تصطدم بحقائق الوجود وطبائع الخلق ، وهي مسائل موضوعية لا أحد يستطيع تجاوزها .

من هنا وجب أن يحرص أصحاب أي مشروع نهضوي أن يكون صحيح المبادئ أي متفقا مع فطرة الله في الكون وفطرته في الناس ، وأن يشحذ بعناصر الفعالية لأن الحق يحتاج إلى إحقاق ، ومأساة العالم الذي نعيش فيه اليوم أن أصحاب الحق لا فعالية لديهم ، وأصحاب الطاقة النشطة على وجه المعمورة لا يعرفون للحق طريقا .

